أهمية مقرر فقه الصحة لطلبة كليات الطب

أ.د. عبد الرحمن العوضى. أ.د. أحمد رجائى الجندى
المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

إن من حسن الطالع أن يعقد لقاءان فى يوم واحد تحت رعاية جامعة الدول العربية وذلك لتدارس المفاهيم الطبية العربية فى الوطن العربى، ومشروع مقرر (فقه الصحة).

حيث يشمل المقرر المقترح لـ (فقه الصحة) :

أولا: الفقه الطبى.

ثانيًا: الحضارة الإسلامية الطبية.

أولا: الفقه الطبى:

أ- الإسلام والصحة.

ب- مفهوم الأخلاقيات وأى المعايير تختار.

جـ- الأخلاقيات الطبية وتطورها.

د- الوثيقة الإسلامة لدستور المهن الطبية.

هـ- المحدثات الطبية والفقه الإسلامى.

و- مقدمة فى الفقه الإسلامى.

أ- الإسلام والصحة:

اهتم الإسلام بالصحة غاية الاهتمام لأنه يعتبر الإنسان خليفة الله فى الأرض فأحاطه بسياج من الأمن والأمان واعتبر الاعتداء عليه اعتداء على البشرية ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ وزودنا بالأوامر والنواهى التى إن اتبعت حفظت للإنسان صحته ووجوده ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ

الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾، ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾.

ويختلف مفهوم الصحة فى الإسلام عن المفاهيم التى كانت سائدة فى ذلك الوقت بما فى ذلك تعريف منظمة الصحة العالمية إلى عهد قريب حيث كانت تعتبر الصحة فى السابق هى خلو الإنسان من المرض وتجاهلت الجوانب الروحية بينما يعتبر الإسلام الإنسان كل لا يتجزأ من الروح والنفس والبدن - فجاء تعريف الصحة لابن سينا أنه حالة من التوازن النفسى والروحى والبدنى أى حفظ صحة وبرأ مرض وهو ما تنبهت إليه منظمة الصحة العالمية مؤرخًا.

وهناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تبيح الطب والطبابة وتنبذ الخرافة والكهانة، واعتبار من يؤمن بها خارجًا عن الإسلام مصداقًا لقوله ﷺ : «من أتى عرافًا أو كاهنا فصدقه فكأنما كذب بما جاء به محمد » ثم جاءت الشريعة الإسلامية بمقاصدها الخمسة حفظ الدين والنفس والعرض والأهل والمال »وأربعة منها تتعلق بالصحة.

ومفهوم المرض فى الإسلام مختلف عن مفهوم الغرب سابقًا فالمرض فى نظرهم أنه مس من الشيطان أو روح من الجن تتلبس المريض ويجب عليهم طردها باستخدام وسائل غير آدمية من الضرب والتعذيب بينما يرى الإسلام أن المرض يسبب حالة من عدم التوازن وخلل داخل الجسم أو خارجه وأمر أصحابه بالتداوى والعلاج.

واهتم الإسلام بالجوانب الوقائية لأبنائه فوضع أسسا جديدة فى ذلك الوقت للطب الوقائى سواء أكانت للفرد أم للمجتمع.

فحث على النظافة الشخصية ابتداء من نظافة الفم والشعر والأنف والاستحمام إلى نظافة الملابس والتطيب ونظافة المسكن والعناية بالتهوية ومكان قضاء الحاجة فمثلا منع التبول فى الماء أوفى الظل أو فى طريق المسلمين وحرص على الاهتمام بالبيئة والحفاظ عليها واعتبر الاعتداء عليها إثمًا.

ثم أمر أصحابه بتخير الزوجة الصالحة ووضع شروطًا لها تفاديًا لأجيال مريضة ثم رعى الجنين منذ تلقيح البويضة حتى الكهولة مروراً بالشباب والمراهقة والرجولة..

إلى غير ذلك من التعاليم الواضحة ليكون المجتمع صحيحًا قويًا كما جاء فى الحديث الشريف : «المؤمن القوى خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير».

كل هذا ما أطلقنا عليه «أنماط الحياة الإسلامية الصحية» وضعناها لتكون بين أيدى الطبيب والمواطن العادى وعالم الدين والمدرس فى مدرسته لغرس هذه الفضائل بين أبنائنا.

ب- مفهوم الأخلاق وأى المعايير نختار:

الأخلاق علم معيارى بمعنى أنه جملة القواعد والأسس التى يعرف بواسطتها الإنسان معيار الخير فى سلوك ما، أو مدى الفساد والشر المتمثل فى سلوك آخر.

وبالتالى فإنه يشكل منهاجه السلوكى القائم على مجموعة المبادئ والقيم التى تحكم قناعات الأفراد.

ولأهمية الأخلاق فى ضبط المجتمعات وتنظيمها لم نجد واحدًا من الفلاسفة على امتداد التاريخ أو المفكرين والكتاب فى العلوم الإنسانية إلا وقد خصص حيزًا من كدحه الذهنى وكتاباته لباب الأخلاق.

ولكن جهود الأفراد فى رسم المعايير والقواعد الأخلاقية تبقى فى إطار النسبية لأن للأفراد قناعات ومفاهيم وأهواء ومصالح تلعب دورًا فى ما يكتبونه، ولذلك نرى كل فيلسوف حسب اهتماماته وواقعه وعوامل الضغط الاجتماعى فى عصره ووفق موقعه وسط الجماعة قد رسم للأخلاق أسسا وقواعد تلتقى أو تتمايز عما رسمه غيره.

هذه القضية هى التى تحملنا على القول إذا أردنا قيمًا أخلاقية ترقى عن الفردية والهوى وتمتاز بالثبات واستمرارية الصلاحية متجاوزة حدود المكان والزمان فإننا لا نظفر بذلك إلا فى الدين لأنه صنعة إلهية ومن لدن عليم حكيم وليس فيه هوى سوى هدف الرحمة للعالمين وصلاح المجتمعات والوعيد للمفسدين.

لقد اتفق الجميع على التعاريف ولكنهم اختلفوا فى تفسيرها ومصادر محتواها.

فالفضيلة على سبيل المثال التى هى العنصر الرئيسى فى الأخلاق ولها معناها واشتقاقها فى الإسلام وقلما نجد فقيهًا أو فيلسوفًا إسلاميًا متمسكًا بدينه يختلف فى معناها ومحتواها بينما نجد علماء الغرب وفلاسفته لهم تفسيراتهم الخاصة بهم والتى قد لا تتفق مع المبادئ الإسلامية.

من هنا جاء الاختلاف، فمصادر الأخلاق عند المسلمين كتاب الله وسنة رسوله بينما مصادرهم هى النفس التى اختلفت من عالم لآخر، ونكتشف بعد سنين بأن هذا كان يعانى مرضًا نفسيًا معينًا فطوع الحقيقة لتتناسب وأهواءه الشخصية وآخر كان يعانى من اضطهاد فى مرحلة من عمره فأتى بما يتماشى ومعتقداته.

وإذا كان الإنسان قد مُيزّ بالعقل وهو مناط التكليف فهذا لا يعنى أن نمطه الأخلاقى سيكون من فراغ استنادًا إلى هذا العقل، بإطلاق العنان له لأننا فى هذه الحالة نقع فى محظور وقع فيه أغلب الفلاسفة عندما حاولوا وضع فلسفة أخلاقية بالاعتماد على جانب واحد من جوانب الشخصية كاللذة أو السعادة الوقتية أو الاعتدال.. إلخ، فالأمر عند المسلمين لا يحتاج إلى هذه الإشكالية الفلسفية لأن الله ـ تعالى ـ قد أكرمنا بشريعته العادلة وفيها تكامل القيم ومنطلقات أى تفكير خلقى وبالتالى أى فلسفة علمية تتعلق بالأخلاق يجب أن تستنير بها وألا يخرج العقل والفكر عن ضوابطها حتى لا يحلق بعيدًا فى عالم الأسطورة أو ينحدر فى مهاوى مادية قاتلة.

وأعظم تعبير عن ذلك ما جاء فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص : ٧٧].

إن الأخلاق فى الإسلام تقوم على قاعدة الإيثار وترفض الأثرة وتحض على الجماعية فى الغايات وتحارب الأنانية وتدعو إلى تزكية النفس بالفضائل والسلوك الحسن، وتنذر من يشوه طهر النفس بالميل إلى الهوى والشهوة، وتقوم على التكاليف الاجتماعى والعدل والصبر والصدق والأمانة مصداقًا لقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾.

مما سبق يتضح بأن الاختيار الصحيح لمصدر الأخلاق هو الشريعة الإسلامية.

جـ- الأخلاقيات الطبية وتطورها.

إن ما يميز مهنة الطب عن بقية المهن أنها مهنة إنسانية ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالإنسان وهو فى أضعف حالاته ويحتاج إلى من يخفف آلامه، مما يتطلب وضعًا خاصا للعاملين فى هذه المهنة.

وفى الحضارات المختلفة كانت مهنة الطب والطبابة ذات وضع خاص، ولذلك سبقت كل المهن من ناحية التنظيم والتدقيق واحتلت الجوانب الأخلاقية فيها مكانا بارزًا على مدى العصور والحضارات بدءا من حامورابى حتى اليوم.

إلا أن مهنة الطب لم تعد قاصرة كما كان فى الماضى على العلاقة بين الطبيب والمريض فالعلاقة أصبحت معقدة إذ دخلت فيها أطراف أخرى إما للمساعدة فى التشخيص مثل التحاليل أو الأشعة أو الجهات الإدارية - أو الصيدلية.

كذلك شهد العالم فى الآونة الأخيرة تقدمًا كبيرًا فى مجال العلوم الطبية وغالبًا ما يصاحب ذلك مشاكل اجتماعية وأخلاقية يجب معرفتها للتغلب عليها.

ولذلك فإن القواعد الأخلاقية السابقة لم تعد تصلح أساسًا الآن لتنظيم المهن الطبية والمهن المساعدة لها.

وكانت نقطة التحول فى تاريخ الأخلاق الطبية الحرب العالمية الثانية التى استخدم فيها الألمان الأسرى لإجراء التجارب عليهم وأدى ذلك إلى صدور العديد من المواثيق الدولية المنظمة لهذا الأمر مثل إعلان جنيف ١٩٤٨، وإعلان هلسنكى ١٩٦٤، وإعلان أوسلو ١٩٧٠، وإعلان هلسنكى الثانى طوكيو ١٩٧٥، والدستور الإسلامى للمهن الطبية للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ١٩٨١م.

وأخيرًا الدلائل الإرشادية الدولية للبحوث الطبية والحيوية التى تجرى على الإنسان.

ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونسكو والعديد من الهيئات والمنظمات العالمية والإقليمية زادت اهتماماتها وأصدرت العديد من المواثيق الخاصة بهذا الأمر.

بل إن الجامعات العالمية خصصت أقساما كاملة لهذا الأمر لإجراء الدراسات والأبحاث فى هذا المجال.

ويجب ألا تقتصر الأخلاقيات الطبية على المحدثات الطبية أو علاقة الطبيب بالمريض بل يجب أن تمتد الجوانب الأخلاقية إلى السياسة الصحية إذ هى التى تحدد الكثير من النقاط التى بناء عليها يمكن اتخاذ القرار، فعلى سبيل المثال من يحق له الحصول على العلاج؟ الخيار الصعب فى تحديد أولويات الميزانية – وما هى الاعتبارات التى يجب الأخذ بها؟ ما هى أشكال الرعاية الصحية التى يمكن اعتبارها مقبولة ومناسبة؟ متى وأين نبدأ تكوين الفريق الصحى ومستوى تأهليه ثم تقييمه؟ وأخيرًا وليس آخرًا التعليم المستمر للعاملين فى المهن الصحية.

وباتساع الفريق الصحى المعالج انقسمت الآراء حيث يرى البعض أن تظل العلاقة محصورة بين الطبيب والمريض ويرى البعض الآخر أن تتسع لتشمل كافة العاملين فى الرعاية الصحية وتحديد الأدوار التى يمكن أن تناط بالمجتمع فى عملية اتخاذ القرارات فى كافة الأمور المتعلقة بقضايا الصحة.

ويبدو أن الرأى الأول قاصر أمام التطورات الصحية الحديثة ودخول أكثر من طرف فى الموضوع إذ يقتصر الأمر على شفاء المريض من مرضه فقط وإهمال دور الآخرين الذين قد يكون دورهم لا يقل عن دور الطبيب المعالج وقد يتطرق الأمر إلى أسرار سيطلع عليها بعض العاملين فى السجلات الطبية والأقسام الأخرى.

لذلك فإن الرأى الثانى أشمل بضم الجميع ليتحمل كل عضو فيه مسئوليته الأخلاقية تجاه المريض والمجتمع.

وفى دراسة فى الولايات المتحدة عن موضوع الأخلاقيات لوحظ بروز تدريس الأخلاقيات فى العشرين عاما الماضية كمتطلب معيارى (Standard) فى برامج كليات الطب الأساسى والدراسات العليا وأصبح تدريس أخلاقيات الطب إجباريًا فى الثمانينيات بعد أن كان اختياريًا.

وقد لوحظ أن البعض يركز فى مجال الأخلاقيات على المحادثات الطبية، لكن الواقع والأهم اليوم هو ضرورة التركيز على السلوك للممارسات الصحية، كما يجب أن تدرس الأخلاقيات فى جميع المعاهد ذات الصلة بالصحة فعلى سبيل المثال : إذا تطرقنا لموضوع سر المهنة نجد أن الطبيب قد يلتزم بهذا الأمر لكن أوراق المريض تتداول فى جهات عدة أولها وآخرها السجلات الطبية فهل نسقط هؤلاء من دراسة الأخلاقيات الطبية؟

مثال آخر، بعد دخول أجهزة الحاسب الآلى هل يجوز وضع جميع أسرار المريض على شاشة الكمبيوتر وإتاحة هذه المعلومات لكل من أراد ؟ شركات

التأمين ما هى حـدود اختصاصها وهل لها حق فى طلب إجـراء الخريطة الجينية لأى شخص يريد التأمين؟

هل يجوز إجراء الخريطة الجينية لأى مريض لم يطلب ذلك وحتى إذا طلب فمن له حق الاطلاع عليها؟ وهل يجوز أن يضـار شخص فى عمله إذا اكتشف إحدى الجينات الممرضة لديه؟

وفى تحدد دور الأخلاقيات فى التكوين المهنى يتبين أن أكثر العوامل المحددة للهوية المهنية التى يتم فى إطارها إعـداد الطبيب، ومن هذا المنظور يمكن القول إن عمليـة التعليم الطبى فى مجـملها والبيـئة المهنية التى تتم فـيها هذه العـملية تشكل الإطار الأشمـل للتربية الأخـلاقية والتطور الخلـقى، وأن المقرر الدراسى الرسمى للأخلاقيات لا يشكل إلا جزئية محددة فى هذا الإطار.

ولذلك يجب أن تكون العلمية التعـليمية للأخلاقيات تسيـر متوازية للتعليم الطبى ويأتى ذلك بشكل منهجـى منظم بدءا بتعليم القيم الأخلاقـية التى تحكم الممـارسات الصـحيـة ثم يأتى بعـد ذلك العمل علـى تطوير الإدراك بالقضـايا والمعضلات الأخلاقية الأكثر شيوعًا.

د- الوثيقة الإسلامية لدستور المهن الطبية:

انطلق علماء المسلمـين من هذه القواعد الأساسـية فوضعـوا الأسس القوية لآداب المهن الطبيـة بدءًا من الرازى حتى عصـرنا ونجد ابن رضوان كبـير أطباء مصر يعدل ميثاق الرازى ويضع صفة الطبيب.

١- أن يكون تام الخلق - صحيح الأعضاء - حسن الذكاء- جيد الرواية عاقلا ذكورًا ، خير الطبع.

٢- أن يكون حسن الملبس، طيب الرائحة، نظيف البدن والثوب.

٣- أن يكون كتوما لأسرار المرضى ولا يبوح بشىء من أمراضهم.

٤- أن تكون رغبـته فى إبراء المرضى أكثر من رغـبته فيـما يلتمسـه من الأجرة ورغبته فى علاج الفقراء أكثر من رغبته فى علاج الأغنياء.

٥- أن يكون حريصًا على التعليم والمبالغة فى منافع الناس.

٦- أن يكون سليم القلب، عفيف النظر، صادق اللهجة لا يخطر بباله شىء من أمور النساء والأموال التى شاهدها فى منازل الأعلاء فضلا عن أن يتعرض إلى شىء منها.

٧- أن يكون مأمونًا ثقة على الأرواح والأموال ولا يصف دواء قاتلا ولا يعلمه ولا دواء يسقط الأجنة - يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه.

بل إن الرازى كان يعقد امتحانا للمتقدمين لدراسة الطب ليختار منهم من تتوافر فيه الشروط السابقة.

وإيمانا من المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بأهمية الأخلاق الطبية ودورها الحيوى والحضارى أصدرت الوثيقة الإسلامية للأخلاق الطبية والتى تحدد تعريفًا بالمهنة الطبية، وصفة الطبيب، علاقة الطبيب بالطبيب، وصلة الطبيب بالمريض، والمحافظة على سر المهنة، وواجب الطبيب فى الحرب، وفى حرمة الحياة الإنسانية، فى مسئولية المجتمع، الطبيب إزاء البحث العلمى ومعطياته الحديثة، فى التعليم الطبى- قسم الطبيب.

وكان إصدار الوثيقة حدثًا طبيًا لاقى الكثير من الترحيب لدى الأوساط الطبية والصحية وتبنت تدريسها بعض كليات الطب فى العالم الإسلامى.

وكان من أبرز ما وصل المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية من تعليقات من بابا الفاتيكان الذى أثنى على ما جاء فيها وطلب المزيد من المراجع التى استندت إليها الوثيقة والمنظمة الآن تدرس إصدار وثيقة جديدة للمهن الصحية.

هـ- المحدثات الطبية والفقه الإسلامى:

لم تتوقف المنظمة عند إصدارها للوثيقة الإسلامية لدستور المهن الطبية بل أدركت ما يجرى على الساحة العالمية والإنجازات التى حققها العلم فى الخمسين عاما الأخيرة والتى فاقت ما أنجزه العلم قبلها، كان لا بد من التعرف

على الرأى الإسلامى بمدى الحل والحرمة وإلى أى مدى هى حلال أو حرام حتى تتبين الجهات المسئولة فى الدول الإسلامية ماذا يمكن أن تدخله من تلك المحدثات وإعلام العامة بالرأى الإسلامى، وكذلك إبلاغ ما يتم التوصل إليه للمنظمات والهيئات العالمية المهتمة بهذا الأمر.

فعقدت العديد من المؤتمرات والندوات، واستنت سنة حسنة فى هذا المجال فجمعت أهل الطب والعلوم من جهة لإعداد أوراق العمل المتعلقة بالمجال المطلوب، ودراسته، وأرسلت تلك الأوراق إلى علماء الشريعة الإسلامية لوضع التصور الشرعى لهذا الأمر فى تجمع فريد من نوعه وفى نهاية الندوة يصدر المجتمعون توصياتهم.

وقد نالت هذه الطريقة استحسان جميع المجامع الفقهية والأزهر والهيئات المهتمة بهذا الموضوع فشاركت معظم الجهات فى أعمال ندواتها الفقهية لإبداء رأيها بحرية تامة.

وحازت المنظمة ثقة المنظمات العالمية مثل منظمة الصحة العالمية واليونسكو والإيسيسكو والمجلس العالمى للأخلاقيات الحيوية واعتبروا المنظمة الممثل الرسمى للرأى الإسلامى.

وقد تدارسنا جميع المحدثات الطبية ابتداء من طفل الأنابيب حتى آخر ما تفتق عنه العقل البشرى من «الاستنساخ - الهندسة الوراثية - العلاج الجينى - الخريطة الجينية» ولا أبالغ إذا قلت بأن المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية تدارست أمر الاستنساخ فى أول ندوة عقدتها عام ١٩٨٠ مما أثار حفيظة البعض فى ذلك الوقت. من ذلك الخيال البشرى غير القابل للتحقيق آنذاك.

نطاق الالتزام بالأخلاقيات والآداب الطبية

وللالتزام فى هذا الخصوص شقان:

الأول: أخلاقى يحكمه شرف المهنة والالتزام الأخلاقى والتربية الحسنة للعاملين فى هذا المجال.

والثانى: تشريعى قانونى توجبها القوانين واللوائح وترتب مسئولية الإخلال بها.

والشق الثانى: يحتاج من الدول العربية والإسلامية إعادة النظر فيما صدر لديها فى هذا الجانب فى ظل المتغيرات الجديدة وأن تكون المسئولية محددة بدلا من أن تكون عامة .. فعلى سبيل المثال موضوع تحديد مفهوم الموت ما زال حائراً فى كثير من الدول، وزراعة الأعضاء تمارس فى كثير من الدول دون وجود مظلة قانونية وكذلك القادم الجديد إلينا من استنساخ أو علاج بالجينات فتتردد كثير من الدول العربية والإسلامية فى وضع الإطار القانونى... والأبحاث على الإنسان ومدى مشروعيتها خاصة فى مجال الاستنساخ حيث حرمته الدول الكبرى ولم يبق أمام الباحثين وأمام شهوة البحث العلمى والوصول إلى المعرفة سوى الدول النامية لإجراء أبحاثهم حيث لا يوجد ما يحرم ذلك.

و- مقدمة فى الفقه الإسلامى:

كل ما قدمناه عن الوثيقة والفقه الطبى وأنماط الحياة، قواعدها مستمدة من الشرعية الإسلامية فى اجتهاد جماعى يغطى كل المذاهب الفقهية الإسلامية.

ولذلك وجدنا من الضرورى تثقيف طلاب كليات الطب بثقافة مبسطة عن قواعد الفقه الإسلامى ليعرفوا الأسس التى قامت عليها الأحكام.

كما أن الطبيب بحكم موقعه ولقائه مع الخاصة والعامة غالبًا ما يُسأل عن أمور فقهية من النساء مثلا فى الاستحاضة هل تصوم المرأة أو تفطر - هل تصلى أم لا ؟ والمريض يلجأ دائمًا إلى الطبيب لسؤاله عن أمور بسيطة هل يصوم فيها أم لا ؟ وعليه إن استطاع أن يرشده إلى ما يراه فى هذا الأمر.

وليس القصد هنا إغراق الطبيب بالأحكام الفقهية ولكنها ثقافة إسلامية فلن يكون فقيهًا ولا عالم دين، لكنه الموجه لعامة الناس.

لذلك رأت المنظمة أن يكون من بين البرنامج أسس وقواعد الفقه الإسلامى بصورة مبسطة جدًا سهلة العبارة مفهومة المعنى.

ثانيًا: الحضارة الإسلامية الطبية:

لقد رأت المنظمة ضرورة أن يتعرف أبناؤنا على شمس الحضارة يوم كانت تشرق من أرض الإسلام قادت العالم لحضارة استمرت لمدة خمسة قرون متصلة دون انقطاع وكانت الأساس المتين الذى قامت عليه الحضارة الأوروبية الحديثة.

وجاء ذلك بشهادة المنصفين من مفكرى وعلماء الغرب أمثال مونتجومرى واط وجورج سارتون أعظم مؤرخى العلوم إذ يقول فى موسوعته العالمية «الحضارات قبل الإسلام استمرت لمدة خمسين عاما إلا الحضارة الإسلامية استمرت فى العطاء لحوالى مائتى وخمسين عاما ذخرت فيها بشموس أضاءت الدنيا بنور علومها فأتت أكلها كل حين بإذن ربها كانت حضارة الرازى وابن سينا وابن رشد وابن النفيس وابن الهيثم وعمر الخيام والخوارزمى والبيرونى - أعلام أثروا مسيرة الحضارة العالمية فى كل مناحيها والرياضيات والهندسة والجغرافيا والفلك والاجتماع والاقتصاد.

إن دعوتنا بضرورة دراسة التراث ليست دعوة لحبس أنفسنا فى الماضى للتفاخر والتباهى والتباكى ولكن التراث للأمة الجذور للشجرة يمدها بأسباب بقائها ونموها.

علينا أن نمد طلاب كليات الطب بمعلومات عن الحضارة ليدافعوا عنها وليعلموا بأن الرازى أول من ألف موسوعة علمية إكلينكية فى التاريخ الطبى تحتوى على الكثير من الملاحظات على أبوقراط وجالينوس فى كثير من الأمراض وألف كتابا أسماه الشكوك كلها انتقادات علمية على أبوقراط وجالينوس وله العديد من المؤلفات وأول من فرق بين الحصبة والجدرى.

وابن سينا صاحب الموسوعة الطبية «القانون فى الطب» والعديد من مؤلفاته التى ترجمه إلى العديد من اللغات.

وابن رشد الفقيه والطبيب والفيلسوف رائد الفلسفة الغربية ومحرر الغرب من قيود العبودية وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل الغرب بمائتى عام.

ومئات غيرهم كانت لهم بصمات ما زالت ماثلة بين أيدى الباحثين حتى الآن أمثال ابن خلدون صاحب المقدمة فى علم الاجتماع..

لقد كانت هذه العلوم تدرس فى الجامعات الأوروبية حتى القرن التاسع عشر وكانت اللغة العربية وقتها لغة العلوم المختلفة.

إن إنجازات الحضارة الإسلامية فى فترة انحسارها كانت أكثر غزارة وأعمق علمًا من إنتاج أوروبا كلها.

ولم يأت ذلك من فراغ فللعلم والعلماء فى الإسلام مكانة خاصة، فالإسلام يحث على العلم وتعلمه وكان الرسول ﷺ فى غزواته يطلب من الأسرى أن يعلموا المسلمين فى سبيل تحريرهم وكان للعلماء فى الأمة الإسلامية لهم حظوة عند حكام الإسلام لا فرق فى ذلك بين مسلم وغير مسلم... ولذلك هاجر إلى ديار الإسلام العلماء من كل أنحاء العالم يبحثون وينقبون فيكرمون من الحكام والمحكومين.

هكذا كان عطاء الأمة الإسلامية والذى يجب أن يوضح لأبنائها ليكونوا رسلا حيثما ذهبوا وأينما حلوا.

ولعل أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ تدعونا إلى النظر فى دراسة التراث الإسلامى بمفهوم جديد.

فبعد تلك الأحداث صار كل ما هو عربى وإسلامى فى قفص الاتهام وسادت ثقافة الكراهية وأعلن ذلك جهارا كبار الساسة فى الغرب بعدم اعترافهم بالحضارة العربية الإسلامية ومن اعترف بها أطلق عليها حضارة الإرهاب والتدمير والعنف.

ولم يقتصر الأمر على الساسة بل امتد إلى كبار المفكرين والمثقفين وانتقل الأمر بعد ذلك إلى أسلوب حياة يومية فى جميع وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة وظهر العداء السافر فى الشارع الغربى لكل ما هو عربى أو إسلامى.

وتصدى للأمر ساعتها الأمين العام لجامعة الدول العربية معالى الأستاذ عمرو موسى مطالبًا هؤلاء الساسة أن يقفوا أنفسهم والكلمة لها كثير من المعانى ولم يقتصر الأمر على ذلك بل عقد مؤتمرا عالميًا موسعًا فى ظل جامعة الدول العربية «حوار الحضارات» ولم يترك الأمر كذلك واعتباره ردًا فى ساعة غضب أو فورة عاطفية لكن اتخذ خطوة فعالة فى هذا الخصوص باختياره شخصية مرموقة فى الأوساط العربية والإسلامية والعالمية وذو باع كبير فى مجال حوار الحضارات ليكون مفوضًا عن الجامعة العربية واتخاذ ما يراه مناسبًا من عقد مؤتمرات أو ندوات أو لقاءات: وهو الأستاذ الدكتور كمال أبو المجد.

كانت تلك الأحداث والتى ما زلنا نعيش فيها دافعًا وحافزًا للمنظمة أن تدرج مقدمة مبسطة عن الحضارة الإسلامية فى مجال الطب توعية لأبنائنا وتحصينا لهم أمام هذه الهجمة الشرسة وضرورة أن يشارك الجميع فى الدفاع عن عروبتهم وإسلامهم كل فى مجال اختصاصه.

وفى النهاية:

نقترح أن يقوم بتدريس مقرر فقه الصحة أطباء لهم اهتمامات فى هذا المجال وهم كثر.

وإن لم يوجد فيمكن الاستعانة بأساتذة التاريخ فى كلية الآداب وأساتذة الشريعة فى كلية الشريعة.

ونقترح أن يوزع على سنوات الدراسة فمقرر التراث فى السنوات الأولى من الدراسة والفقه الطبى فى السنوات الأخيرة.

إن اقتراحنا لهذا المقرر لم يكن بدعة فى عالم اليوم ولا مضيعة لوقت طالب الطب فلا خير فى طبيب لا خلاق له فمنظمة اليونسكو أوصت بضرورة إدخال مادة الأخلاقيات ليس فقط فى الجامعات بل فى جميع مراحل الدراسة لخلق جيل يحترم حقوق الإنسان ويقدسها والجامعات الأوروبية والأميريكية أدخلت هذه المقررات إلزاميًا ضمن سنين الدراسة.

إن المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية تؤمن أشد الإيمان بأهمية تحصين أبنائنا بالجوانب الأخلاقية المستمدة من ديننا وعاداتنا وتقاليدنا وهى إذ تتقدم بهذا الاقتراح يحدوها الأمر الكبير أن يحوز اهتمامكم فهى أمانة فى أعناقنا جميعًا.

والمنظمة على استعداد أن تتعاون تماما مع أية جهة تبدأ فى إدخال المقرر حيث مواده العلمية كما تراها المنظمة جاهزة فى الطباعة الآن وسترسل إلى منظمة الصحة العالمية للاطلاع عليها ومنظمة الإيسيسكو لوضع اللمسات التربوية عليها والمنظمة مستعدة لتقديم يد العون وتذليل كل الصعاب التى تواجهها محتسبة ذلك عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

* * *